

حول اللفظ الدخيل
والمجتمع اللغوي
والاوضاع الفنية وغيرها

للمؤلف ميراث النجاشي

حول اللفظ الدخيل

والمجتمع اللغوي

والاوضاع الفنية وغيرها

للمؤلف ميراث النجاشي

من اغراض المجتمع اللغوي ارشاد الناس الى الاوضاع
العربية ولا سيما ما تحتاج اليه منها حضارة العصر .

وربما عمد المجتمع الى ما هو قديم فهدبه وشذبه مما علق
به من اسماء لا يرضاها ابو عبيدة والاصمعي .

وقد روت الصحف عزمه هذه المرة على تعبئة الجيوش
قياماً بشروط المعاهدة ثم تسمية امرائها ومقدميها باسماء
يفهمها خالد بن الوليد وشرحيل بن حسنة وابو عبيدة بن
الجراح . حرصاً على صيانة العربية .

ونعم النية هي لو صحت وتوفق سادتنا العلماء الى
كلمات مأنوسة تستسيغها الالسنه ولم تعترضهم عقبات تردهم
الى اسماء اعجمية .

فمن الاوضاع العربية لجماعات الجيش مثلاً « الفيلق »
والعهد قريب بالخلاف على تأنيث هذا اللفظ وتذكيره .
وقد اشتد فيه بين الادباء الجدال وطال النضال والفوز بين

الفرقتين سجال حتى تغالت السيوف وتكسرت ارعاض
النبال فأدرك جموعهم الحرد وفرقهم اللال .

ولا ريب ان من ذكر « الفيالق » فعلى معنى الجيش
ومن أنت وهو الغالب فعلى معنى الكتائب وقد جاءت
بالوجهين في شعر ابي الطيب فقال :

في فيلقٍ من حديدٍ لو قد فتَّ بهِ
صَرفَ الزمانِ لما دارت دوائرُهُ

وقال :

فصارتِ الفيالقانِ واحدةً تعرُّ أحياءُها بموتَها
فذكرها في الاولى وأتمها في الثانية

وقال رؤبة :

حِمْصَاءُ تَمَّتْ مِنْ تَمِيمٍ فَيَلَقَا اذا استباححت عِزُّ قَوْمٍ طَرَقَا
وقال الزقفيان :

وشفَّروا في دينهم ومَرَقُوا فصبَّحتهم ذاتُ رِزٍّ فيلقُ
مامومةٌ يَضِلُّ فيها الابلقُ

وقال المغيرة بن حبياء :

قلما لقيناكم بشيباء فيلقٍ تزلزل منها جمعهم فتبدرا

وقال ابن أحرر

حتى أتته فيلق طافح لا تتقي الزجر ولا تنزجر

وخالفهم الحكمي فقال :

نادمتهم قرقفَ الأسفَنَطِ صافيةً

مشمولةً سُبَيْتٍ من خمرٍ تَكْرِيتٍ

من اللواتي خطبناها على عَجَلٍ

لما عَجَجْنَا بِرَبَّاتِ الحَوَانِيتِ

في فيلقٍ للدجا كاليمٍّ ملتطمٍ

طامٍ يحارُّ به من هَوْلِهِ النَوْتِ

وهناك ما لا نهاية له من نظم وتثر تعاقبت فيه

« الفيلق » على التأنيث والتذكير بحيث لا يبقى شك في

صحته عريتها .

ومع هذا ليس عندنا في حرف « فلق » ما يتصل

بمعنى الجيش . ولدى ادنى روية نرى في الفيلق ملاح من

لفظ « phalange » واخواته من لغات المغرب . وهم يرجعون به الى اليونانية . ولفظة اليوناني اشد مشابهة بالفيلق خلوة من النون الزيدة في الفرنسية ولان جيمه من حيز القاف .

ولا ريب ان العربية اخذته عن الروم فهو عندنا دخيل لان اول من رتب العسكر فيالق واطلق عليها هذا الاسم فيلبس المكدونى (المقدونى) ابو الاسكندر وذلك سنة ٣٦٠ قبل المسيح . وكان قد تجرد بفئة قليلة لتدوين مكدونيا وما جاورها . وقيل ان ابننداس تقدمه الى مثل هذا .

والمشهور عن ترتيب الفيلق عند اليونان ومن بعدهم ان تكون في الغالب ثمانية آلاف من الرجال في ست عشرة كتيبة مرصوصة صفوفًا متوالية تدعم اواخرها أواليها . فاذا ادرك المتقدمة وهن أو خور تقدمت التي خلفها .

ولا ريب ان العرب عرفت رصفها هذا في جيوش الروم والفرس . قال الاعشى :

ونحن غداة ذي قار اقنا وقد شهد القبائلُ محلينا
وقد جاثوا بها جاواءً فلقاً مملوءةً كتائبها طحونا
وفي قوله نصٌّ على ان الفيلق كتائب لأن الفيلق
والفيلق واحد

ويوم ذي قار عبأت العرب تعبئة الفرس . ولذا قال
الثقب العبدى :

صَحِبَتْنَا فِيلَقٌ مَمُومَةٌ تَمْنَعُ الْأَعْقَابَ مِنْهُنَّ الْأُخْرُ

والى مثل هذه التعبئة يشير ابو الطيب بقوله :

جاءت دنائيرك مختومةً عاجلةً ألفاً على ألفِ
اشبهها فعملك في فيلقٍ قلبته صفّاً على صفٍّ

وكذلك لو بحثنا في لفظ « العسكر » و « الاسطول »

و « البرج » وغيرها فكثيراً ما ننتهي الى اصل اعجمي .

البصير — لا يسعنا الا القول : يا عجباً لهذه « الفليقة » . ان كانت
الفيلق مع كل ما زحف به علينا صديقنا الاديب من جيوش الشواهد العربية
غير عربية فهذا « شيء يفاق » . وعلام غناء المجمع اذن . وما السبيل الى
ما يغوتنا من المصطلحات وحضرته مجهز عليها حتى يدل « المجمع » فجعله
مجتمعا »

اشكر للبصير النير ما تفضل به من التعقيب على كلمة
لي سبقت حول اللفظ الدخيل والمجتمع اللغوي ومواضعه
وفقنا الله الى رأي منه جميل .

أما اني « مُجهز على المصطلحات أرد العربي أعجماً »
فما أبعدا غاية . وكل ما اردته ان الاوضاع التي جاء بها من
تقدمنا قد يكون مصدرها أعجماً ونطقوا بها فعرّبوها .
وكان كلامنا عن « الفياق » على سبيل المثل . وقد اقتبستها
العرب فصيرتها عريية . ثم تصرفت فيها بوجوه المعاني
فاطلقتها على الداهية لشدة بلاؤها . ثم على الامر العجب . ثم
اتخذت منها لهذا المعنى اخوات « كالفياق » وغيره . ثم قالوا
« أفلاق » اذا جاء بعجب . وفي الامر كان حاذقاً . ومنه
« الشاعر المفلق » أي المجيد يأتي في شعره بالعجائب . وقالوا
ايضاً « يوم مفلق » أي شديد لا يحتمل . ومن هذا قول
العامية في مصر « شيء يفاق » فهو لفظ صحيح . قال حميد
الارقط :

ظَلَّتْ يَوْمَ ذِي سَعْدِ « مَفْلُوقِ »
بَيْنَ عُذْرَاتٍ وَبَيْنِ الْخَرْقِ
تَلَوْذُ مِنْهُ بِخَبَاءِ مَارَقِ
بِالْأَرْضِ لَمْ يُكْفَأْ وَلَمْ يُرَوَّقِ

فكل هذه المشتقات عربي لا غبار عليه . وان كان
الأصل دخيلا . فالجد من الموالي والبذيات عربيات من
مواليد الدار .

* * *

وكثير من الكلام اذا كشفت عنه وجدت هذه حاله
ولا بأس ان اذكر هنا وما وقع لي اثناء الاشتغال « بالتنبهات »
عند حرف (ب ت ت) وقد ضرب علامتنا اليازجي خطأ
على « البتية » وكتب على الهامش « لم تقيد بانها عامية »
وعن لصديقي الدكتور شمعون ان نتعقب هذا اللفظ
وما يتصل به فوجدنا دوزي قد أثبتته تقلا عن الادريسي .
وذكر من معانيه هذا الوعاء المعروف . والمد العظيم وان
العرب تطلقه على احدى الصور السماوية .

ولم يرد هذا اللفظ في شيء من أسماء الصور التي ذكرها
 القزويني والبتاني وعبد الرحمن الصوفي وغيرهم . أما دوزي
 فقد نقله عن زيج الفونس العاشر وهو مرسوم بالحرف
 اللاتيني . فلا ريب ان دوزي وقع على « الباطية » فقرأها
 « البتية » . وبين هذه وتلك نسب في اللفظ والمعنى وعجمة
 الاصل .

أما « الباطية » فقد قال الجواليقي انها فارسية .
 واستعملتها العرب قديماً . وأورد عليها صاحب اللسان
 وغيره .

انما لِقَحْتُنَا (باطية) جَوْنَةٌ يتبعها (برزينها)
 فاذا ما حادت أو بكأت فُكَّ عن حاجب اخرى طينها
 وهما مرويان في تركيب (ح در) من الجمهرة . لعدي
 ابن زيد .

وعند ذكر « البرزين » قال الجواليقي انه ايضاً فارسي
 معرب . وروى عليه هذين البيتين عن الاصمعي لرجل من
 البحرين لم يسمه . وجاءت فيهما « الخاوية » مكان الباطية .

فضاع الشاهد . على انهم كثيراً ما ذكروا الباطية في شعرهم
كقول جرير :

فحسبك أن تنوح بين دنٍّ وباطيةٍ وابريق رذومِ

وقول الحكمي :

اتركِ التقصير في الشر بـ وخُذْها بنشاطِ
من عقارِ كسنا البر قِ اِضْءات في (البواطِي)
لَمْ ، وعَفُوْهُ اللهُ مَبْدُو لُ غَدَاً عِنْدَ الصِّرَاطِ ،
خَاقِ الْغَفْرَانُ إِلَّا لَامْرِيءٌ فِي النَّاسِ خَاطِي

وربما ظننت « الباطية » افصح من « الخابية » لابتدال
هذه في الكلام الدارج وترفع الاولى عنه . مع ان الاولى
دخيل والثانية عربية من « خبأت الشيء » وتركت همزتها
لكثرة الاستعمال .

وأما « البتية » فاذا ذكرناها ذكرنا تجار القفلات وما
يستخدمونها له — وبينها وبين لفظ (Botte) مشابه —
فقد تكون مما حملوه اليها من الغرب . وورودها في كلام

الادريسي دليل على انها عندنا من القرن السادس للهجرة ولعابها كانت من قبله لان العلامة الفرداحي اثبت في معجمه السرياني كلا من « بطيتو » و « بتيتو » . وبينهما في اللفظ مثل ما بين الباطية والبتية . وفسر كليهما بالباطية لتحريه العربي الصحيح . واذا اشتركت العربية والسريانية في لفظ مولد فالارجح ان يكون في لغتنا العامة قديماً .

وأما (Botte) فان « لبتره » يرجع بها الى كثير من اللغات الغربية . وقال انهم صغروها فقالوا (Bouteille) اي « القنينة » . وهذه أيضاً في نظر علماء اللغة اعجمية . ولو انعمنا النظر لوجدناها هجاءاً غير صريحة النسب . وقد بدلت الايام معناها .

ففي اللسان : « القنينة وعاء يتخذ من خيزران أو قضبان .
قد فصل داخله بحواجز بين مواضع الآنية »

فاول ما يبدر الى الذهن اشتقاقها من لفظ (Canne) وهذا الاصل تشترك فيه اللاتينية واليونانية . وتوافقه

عندنا « القناة » لفظاً ومعنى ومجازاً ايضاً . فقد اشتق منه
الغريون (Canal) وقلنا نحن « قناة » الماء .
وقد جاءت « القنينة » في الشعر القديم كقول
الحكمي :

في مجلس جعل السرورُ جناحهُ
سترًا له من ناظر الحدَّانِ
لا يطرق الاسماعَ في ارجائه
إلا ترنمُ ألسنِ العيدانِ
دومًا وتصفيقُ المجلسِ تطربًا
وبكاءٍ (خاية) وضحكٍ (قناني)

ولكن علماء العربية لا تسلم بان قنا الرماح اعجمية ولا
بان القنينة عربية .

ومن اخوات (الباطية) عندنا في آنية الشراب ايضاً
« البطة » غير ان التشابه محض اتفاق . وهي مثلاً قديمة
العهد . ففي الخبر عن رجاء بن حياء الفقيه مع الخليفة الأموي
عمر بن عبد العزيز انه قال : « كنت مع عمر بن عبد العزيز .

فضعف السراج . فقال يارجاء اما ترى . فقلت أقوم فأصلحه
فقال : انه للؤم بالرجل أنت يستخدم ضيفه . وقام فاخذ
« البطّة » فزاد في دهن السراج ثم رجع وقال :

« قت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر ابن
عبد العزيز . » اه

واورد الخفاجي على « البطّة » قول ابن تميم من اهل
المئة الثالثة :

دعيتُ وكان اكلي نخذَ طير
ولم أشرب من الصهباء نقطة
وما يومي كأمس وذاك اني
اكلتُ إوزةً وشربتُ « بطه »

وقيل ان تسمية الوعاء بها لأنه يعمل على شكل (البطة)
وفي نظر الخفاجي انها للوعاء عربية صحيحة . مع انها للطائر
دخيل . قالوا عريها « الاوز »

ولعل كلاً من « الاوز » و « البط » اعجمي معرب .
لا سيما ان البط ليس مما يعيش في الصحاري ولا بقاء له على

جوار اهل البادية . وكيف يبقون على البط وهم ان أفلتت
منهم جرادة ضربوا بها الامثال
وان دجن عندهم البط في القرى . لذا جعلته العرب
رمزاً لسكنى الحضر . في تركيب (زو) من المحكم . قال بعد
تفسيره الوز بالبط :

تلقى الإوزين في اكناف دارتها
فوضى وبين يديها التين منشور
وعقب عليه ابن سيده بقوله : (أي ان هذه المرأة تحضرت
فالاوز في دارتها تأكل التين . وانما جعل ذلك علامة
التحضر لان التين انما يكون بالارياض وهناك تأكله الاوز
...) . اه

ثم نقل عن ابي علي الفارسي :
كَأَنَّ خَزًّا تَحْتَهَا وَقْزًا وفرشاً محشوة اوزاً
وفي تفسيره جعل الارجح انه (اراد محشوة ريش اوز)
ومعلوم ان الخز والقز والفرش المحشوة ليست من ماعون
الاخبية

وعند اليونان ما يقارب لفظ الوز والبط (Φάσσα)
و (Φάττα) بمعنى البمام . وكثيراً ما قلب الفاء واواً او باءً
والسين زاياً .

— ٣ —

رأينا فيما مر نموذجاً من اسماء متصلة بأنية الشراب .
عدت عربية لان العرب نطقت بها . وكان من حقها
السلامة من العجمة لان آنية الشراب مما لا غنى للانسان
عنه . فلا تخلو منها بقعة . والعربي والاعجمي في طلب الماء
سواء . ومع هذا ترى في اسمائها كثرة الدخيل . لانها لا
تأتي إلا على ايدي الصنّاع . فالول من يعرفها منهم اهل
القرى . وقاما تخلو القرى من الغرباء . ولذا تجد من علماء
اللغة من لا يعتد بكلام القرويين

ولو نظرنا الى ما اختص بتجارة أو صناعة كاسماء
المسكايل والاوزان والنقود لالفينا العجمة فيه اشد تفشيّاً
كالرطل من (Αρτο) والقنطار من (Centenarius) والنمّي
من (numisma) وقس عليها الاقة والدينار والدرهم والقيراط

والقسطاس وهلم جرا . وربما اتخذنا بشهرة بعضها وبما فيه
من مشابهة باللفظ العربي فتمحلنا له وجهاً وكان غير سديد .
(كالمذ) مثلاً . ففي اللسان (مدد ٤٠٧) : قيل ان اصل المذ
مقدّر بان يمد الرجل يديه فيعمل كفيه طعاماً) . اهـ

ولو قلنا انهم من (مد اليد) اخذوا (أمدّه بكذا) اي
ناولوه (واستمذ) اي اخذ . وانهم بعد هذا اطلقوا لفظ المذ
على الوعاء يتناولون به الاشياء . ثم جعلوا ذلك الوعاء
مكيالاً . لكان قولاً مقبولاً . ولا سيما ان لدينا في هذا
الحرف غير (لفظ المذ) ما يفيد التقدير كما في حرفي كال
ووزن . فهم يقولون (مدد كذا ومداده) اي قدر ما يوازيه .
كما يقولون (عدده وعداده) و (زنته ووزانه) .

ولكن عند الغربيين من اسماء المكيال ما يقارب
هذا اللفظ muid بالفرنسوية وكان معروفاً عند قدماء الروم
بلفظ modius واصل معناه الشكل والقالب . واختلفت
سعته عند كل أمة . ولليونان مكيال يسمونه medimnos
كان معروفاً عندهم في المئة السابعة قبل الميلاد لوروده في

شرائع سولون ثاني اساطين الحكمة . وهو مذكور ايضا
في كلام هيردوتس من اهل المئة الخامسة قبل الميلاد .

فما صدق على هذا المكيال من تقادم العهد عند الغربيين
مع بعد العرب عن التجارة ، يترجح معه تصحيف المد عن
احدى تلك اللغات

اجل ان قدم العهد ليس حجة لاغرب فقد ذكر هيردوتس
(الاردب) ايضا . ونسبه الى اهل مادي .

واي حاجة بالعرب في بداوتهم الى التجارة ومكايلها وقد
غنوا عنها بشن الغارات . واما الصناعة فقد نزل مرة فيهم
حداد فكان نزوله حكاية يتناقلونها حتى قالوا في امثالهم (اذا
سمعت بسرى القين فانه مصبح)

ثم ما عساهم ان يعيرونا من اسماء الاثاث في عصور
جاهليتهم وهم قوم رحل غطاؤهم السماء ووطاؤهم العراء وهم
بينهما كما قال الحكمي :

قُصَارَى عَيْشِهِمْ أَكَلُ لُضْبٍ وَشَرْبٌ مِنْ حَفِيرٍ فِي شِنَانٍ

وأطالهم كما قال امرؤ القيس

تري بَعَرَ الآرامِ في عَرَصَاتِهَا

وَرِيعَاتِهَا كأنَّهُ حَبٌّ فلفل

وابنيتهم الخباء والعماد والاطناب والاولتاد والاثافي .
وماعونهم ما يسمونه (بالمحلَّات) وهي القرية والفأس
والقداحة والدلو والشفرة والقدر . سميت (المحلات) لان من
كانت له فقد استغنى . وله ان يحل حيث شاء من الارض
وانما انبسط لسانهم بكلام الحضرة بعد انبساط ما فيهم
على الشام والعراق وخراسان ومصر وسائر البلاد العامرة
بالصناعات

فانهما كالبعض عندنا بالشوارد من الفاظ الجاهليين
وبالحوشي من كلام الحدادة ورعاة الشاء للتعبير عن اغراضنا
اليوم ضرب من الغرور

وبديهي ان التماسها في ما كتب لعهد العباسيين ومن
والا هم اخرى واجدى . ولا سيما اسفار التاريخ والسير فانه
يتخللها من وصف الاحوال البيتية والمعاملات والصناعات

والابنية وسياسة الدولة وقيادة الجيوش ما قد تخلو منه
دواوين اللغة او تقصّر في تعريفه فلا يتيسر للواقف عليه
في المعجمات وحدها ان يستعمله على وجهه

ثم ان القوم لذلك العهد نقلوا علوم السريان واليونان
وكتبوا في كل فن فاجادوا واستنبطوا من الاوضاع
والمصطلحات ما لا يجدر بعلماء المجمع اغفاله بعد ان تداولته
الاقلام وانست به الايام

...

والذي يبدو من مجلة المجمع ان علماءنا الاجلاء رأوا التجاوز
عن هذا كله تفادياً من عناء البحث عما قاله ثابت بن قرة
مثلاً واسحاق بن حنين ولم يقله ابو بكر الرازي والحارث
ابن كلدة

وكانهم ارادوا ان نحتال للامر بان نأخذ من الصيغ العربية
ما يسد الحاجة كاسم الفاعل والمفعول والمكان والآلة نجعلها
قوالب معدّة للطوارئ

فاذا عرض لنا شيء فأتنا اسمه عمدنا الى القالب الملائم

والى اللفظ القريب من صفته ومعناه فزججنا هذا بذاك فلم
يلبث ان يتخلق به ويكتسي لونه وشكله ويخرج من تحت
الضغط عرياً مبيناً كاحسن ما يكون

وان كان مما سلف سبكه لمعنى آخر اخرجناه عن معناه
الى الذي اردناه

لا ريب ان المجمع لو كان مكلفاً ان يستزل لغة جديدة
من عالم الوحي لكان صنيعه هذا حسناً . وكان في سبيله
على هدى . واما ان كان القصد ارشاد الناس الى ما سبق
استعماله واقره السلف . ثم النظر بعده الى ما نحن مفتقرون
اليه مما فاتهم . وجب علينا باديء بدء ان نتصفح اسفار
القوم لنستخرج منها لكل فن ما استد وضعه وخف على
السمع وقعه . وهو ما نتوصل اليه بادمان البحث لا بالتكهن
والاستهام . والا كان صنيعنا كمن يغفل عن الركاز تحت
قدميه ويكد الذهن في طلب الحجر الفلسفي

ففي ترجمة « Siphon » مثلاً تناولت المجلة لفظ « الشعب »
والدسته ايّاه

واحتجت بان السيفون « انبوب ملتوٍ على شكل
حرف S « ؟ » تتصل احدى نهايتيه « ؟ » بفتحة الحوض
السفلي وانما اختير هذا الاسم لان مادته تدل على الالتواء
اما ان « مادة ثعب » « تدل على الالتواء » فانه وهم .
ولا ريب ان منشأه « الثعبان » وقد مثل للذهن في تحويره
فانخدع به المجمع كما انخدعت به من قبل حوآء ام البشر

اما حرف « ثعب » فانه يفيد الانفجار . قالوا ثعب
الماء والدم يشعبه فجره . وثعب هو وانثعب انفجر

ولعل الثعبان سمي كذلك تشبيها بحبال الماء المرسلّة من
المثاعب . وليس ان الثعبان اصل المادة

ويدل على ذلك اتصال معنى الانفجار بالالفاظ التي
تقارب « ثعب » في مخارج حروفها . كالشعب والشخب

والثقب والبثق « فالشعب » الصدع . و « الشخب »
الابن المندفع من الضرع اذا احتلب وصوت الابن عند
الحلب . و « الثقب » الخرق النافذ و « البثق » كسرك السد
او مسناة النهر « لينبعث » ماؤه

فالشعب المنفذ الذي ينبعث منه ماء الحوض وغيره

ثم ان حكم السوائل في مرورها بالانبوب المعقوف من
سطح أعلى الى سطح أدنى . من السنن الطبيعية التي عرفها
فلاسفة اليونان . وقد بنى عليها ايرن من اهل المئة الثانية
للميلاد كثيراً من الالغاب المعروفة باسمه الى عصرنا هذا .
فهي لم تفت ادباء العرب الذين نقلوا تلك العلوم في زمن
المأمون ومن جاء بعدهم . وكتبهم بحور زاخرة بالاصطلاحات
التي يبحث عنها المجمع

ففي « الآثار الباقية » لابي الريحان البيروني من اهل
المئة الرابعة للهجرة « ص ٢٦٢ » كلام عن « العيون الفوارة »
و « صعود المياه الى فوق » وقد علل ذلك التعليل العلمي بانه
من « اختزان المياه في تجاويف أعلى » من تلك العيون .

وخالف « من يعير علم الغيب ما يحمله من علم الطبيعيات »
وفيه ان الماء في تلك التجاوير قد يمر بالاودية ثم يصعد
« بعد ان يجد النزول الى اسفل من مصعده ويمنع منه ما
يبادله المكان اذا اخلاه فلا يعينه على فعله الطبيعي الا
مشاركة القسري الصناعي وهو الهواء »

الى ان قال : « ومثاله الآلة التي تسمى سارقة الماء فانك
اذا ملأتها ماء ووضعت كلا طرفيها في اناءين سطح ما فيها
من الماء سطح واحد فان الذي فيها من الماء يقف ولو دهرًا
لا ينصب الى احد الاناءين لانه ليس باولى من الآخر ولا
يمكن ان يتكافأ الا نصاب الى الاناءين كليهما لان الآلة
تخلو حينئذ واخلاء اما غير موجود كما عليه بعض الفلاسفة
واما موجود ممسك للاجسام كما عليه بعضهم فاذا كان
ممتنع الوجود لم يوجد واذا كان ممسكا للاجسام امسك الماء
ولم يتركه يسيل الا بعد ان يبادله جسم آخر . ثم اذا صير
أحد طرفيها في موضع اسفل قليلا سال اليه ما في الاناء
وذلك انه لما اسفل صار أقرب الى المركز فسال اليه ثم اتصل

السيلان بتجاذب اجزاء الماء واتصالها الى ان يفنى ما في
الاناء المجذوب مأؤه أو يوازي سطح ماء المسيل اليه سطح
الماء المجذوب فتؤول المسألة الى الحالة الاولى)

فقد اوضح البيروني احكام هذا الانبوب بما لا مزيد
عليه ودلنا على تسميته لعهدهم « بسارقة الماء » . وهو ترجمة
حرفية للفظ clepsydre من « كلفت » السرقة » و« ايدور
الماء » وهذا اللفظ الاخير أطلقه الغربيون على « الطرجهارة »
أو الساعة المائية لما هو معلوم من امر هذه الساعة وان
قوامها الانبوب المذكور

وكان الناس من عهد البيروني يسمون هذا الانبوب
ايضاً السَّحَّارة وهو الاسم المعروف به الى يومنا هذا . وفي
لسان العرب ما يدل على انهم اطلقوا السحارة على حيل
اخرى تماثلها في حرف « سحر ١٢ / ٣٢ » : « السحارة شيء
يلعب به الصبيان اذا مد من جانب خرج على لون واذا مد
من جانب آخر خرج على لون مخالف وكل ما اشبه ذلك
سحارة » اهـ

وفي مفاتيح العلوم للخواارزمي في كلامه عن « حيل
حركات الماء والالواني العجيبة » : « السحارة هي التي تسميها
العامة سارقة الماء اعني الانبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج
او غيره فيوضع احد رأسها في الماء او غيره من الرطوبات
المائية ويمص الرأس الآخر الى ان يصل الماء اليه وينصب
منه فلا يزال يسيل الى ان ينكشف رأسه الذي في الماء : ولا
يمكن ذلك الا ان يكون الرأس الذي يمتص اسفل من
سطح الماء . فاما اذا كان أعلى منه فانه لا ينصب منه » اهـ

وفي كتاب الخوارزمي هذا الوف من الاوضاع
العلمية التي يبحث المجمع اللغوي عنها . وكان امامنا وعلامتنا
الطيب الذكر الشيخ ابراهيم اليازجي قد اشار بالنظر فيه
وفي أمثاله التماساً لتلك الاوضاع . وأورد منها جانباً ترغيباً
فيها . وكلامه في هذا المعنى . وفي المجاز والاشتقاق والتعريب
واللغة والعصر حري بان يتخذ المجمع دستوراً . والتقاط
الفوائد من المظان التي أرشد اليها وهو فيها اهدي من القطا
أولى مما تشاغلت المجلة بنقله من كلمات لا يجملها الاميون

فضلاً عن المتأدين . كالخشوة والدهليز والدلو والسطل
والمائدة والملعقة والبيضة والملحة والمقط والزبدية والطاس
والهاون والمدقة والمكتب والدواة والمداد والحبر . وغيرها
فأمثال هذه الاسماء ليس في إيرادها على سماع الكاتب أقل
جدوى . لانه لا يكون كاتباً وهو لا يعرف الحبر والمداد

إلى . أنه قد يجد بعض الفائدة لو ألحقوا بها شيئاً من
التحقيقات كالتنبيه على الفرق بين لفظ وآخر مما لا يظفر به
أحياناً في بابه

فقد جعلت المجلة للحبر والمداد معنى واحداً وفسرتها
بالنفس

وبين الحبر والمداد فرق نوضحه فيما يلي . وكلاهما عربي .

وأما النفس فانه اعجمي . وأول ما يبدو لك منه هذا
التشابه بلفظ (encre) واكثر شبيهاً به (ink) . قال ليتره
انه من اليوناني (en coustos) أي المحرق . لما يدخل في
تركيبه من السخام

وكان اليونان قديماً يتخذون منه طلاء للخشب وهو ما
يسميه الغربيون اليوم « انكوستيك »

واما الخبر ففي صبح الاعشى (٢ - ٤٦٥) انهم كانوا
يتخذونه من العفص والصمغ العربي والزاج وربما زادوه
اشياء غيرها كماء الآس والدخان والصبر والعسل

واما المداد فمن سخام النفط ومن العفص والعسل
والملاح والصمغ العربي وهذا المداد كان يؤثره الوزير ابو علي
ابن مقالة المشهور بجمال خطه

فالخبر كالذي يتخذه اليوم التجار في كتابة العقود واثبات
الحساب في دفاترهم لأن ما يدخله من الزاج يمتنع معه محو
الكتابة . ولذلك قال الصولي في ادب الكتّاب : « بالخبر تكتب
المصاحف والسجلات وما يراد بقاءه » . اهـ

واما المداد فهو ما كنا نسميه من عهد قريب « بالخبر
الاستنبولي » يرغب فيه معلمو حسن الخط لملكة لونه
وسهولة محوه بالرضاب ولعل كتاب الرسائل كانوا يختارونه

لعنايتهم بتزويق الخط وتنميقه . فإذا شط القلم لطعوا الحرف
هرباً من الرجوع بالكتاب عوداً على بدء

والى هذه العادة يشير أبو نواس بقوله في حسناء وقد
اكثرت من المحو في رسالتها فشبهها بكتاب الديوان

وناقلوا الكاس ظبياً	ما يرتعي بالبوادي
لكن بديوان يحى	بفيه لطخ مداد

وقوله :

أكثرى اللحن في الكتاب ومحييه بريق اللسان لا بالبنان
أنني كلما مررت بسطر فيه محوً لطعته بلساني

الاسكندرية في مارس سنة ١٩٣٧

